

مثل الزارع

سلسلة أمثال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

مستمعي العزيز ، ماهو موقفك عندما تُقدّم لك نصيحة معينة ؟ بالطبع قد تحاول السير بموجبها، لكن ربما تعترض طريقك عقبات تحول دون إكمالك لما تريد أن تقوم به. أو قد تصادفك مشاغل وأعمال أخرى تبعدك عن الهدف الذي تسعى لأجله، وتمضي الأيام وتصبح تلك النصيحة في ذاكرة النسيان. أليس هذا ما يحصل معنا جميعا أعزائي وفي أحيان كثيرة؟

لقد تحدث المخلص يسوع المسيح بمثل قريب من الحالات التي تحدثنا عنها الآن . والمعروف عن المخلص المسيح أنه كان دائما يتحدث للجموع بأمثال من واقع الحياة التي يعيشونها. لكي يقرب إلى أذهانهم المفاهيم الإلهية الصحيحة ، ويقدم لهم الرسالة التي يريد أن يوصلها لهم. ومع ذلك فقد كان الناس في ذلك الوقت نادرا ما يستوعبون رسالة المسيح لهم.

كلم المسيح الجموع بهذا المثل قائلا: " هوذا الزارع قد خرج ليزرع. وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق. فجاءت الطيور وأكلته. وسقط آخر على الأماكن المحجرة حيث لم تكن له تربة كثيرة. فنبت حالا إذ لم يكن له عمق أرض. ولكن لما أشرقت الشمس احترق. وإذ لم يكن له أصل جف. وسقط آخر على الشوك. فطلع الشوك وخنقه. وسقط آخر على الأرض الجيدة. فأعطى ثمرا. بعض مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين. من له أذنان للسمع فليسمع." (متى ١٣: ٣-٩)

لقد كان معظم الناس الذين يستمعون للمسيح هم من المزارعين الفلاحين البسطاء الذين يمارسون الزراعة، ولهم دراية كاملة بأنواعها وطرقها. لهذا لم يكن غريبا أن يتحدث لهم المخلص المسيح عن مثل الزارع الذي خرج ليزرع. وهدفه من ذلك أن يشرح لهم من خلاله عن رد فعل الناس تجاه رسالة ملكوت الله، أي بشارة الخلاص المفرحة. وأراد القول أن درجة التجاوب تختلف بين إنسان وآخر طبقا لواقع وظروف كل إنسان.

يتساءل الكثيرون لماذا لا يتجاوب كل الناس مع بشارة الخلاص المفرحة؟ وهل هناك بشارة أعظم وأجمل من بشارة الحصول على الغفران الكامل ونوال الحياة الأبدية؟ ولماذا يبقى عدد الذين اختبروا خلاص الله قلائل؟ أجاب المخلص المسيح في مثل الزارع عن كل هذه التساؤلات، وبيّن لنا الأسباب التي تمنع الناس من التجاوب الكامل مع بشارة الخلاص.

لقد شرح المخلص المسيح لتلاميذه فيما بعد عن المعاني الروحية لمثل الزارع بالتفصيل. الأمر الذي يساعدنا نحن اليوم على إدراك حقائق هذا المثل، واستخلاص العبر المفيدة لحياتنا. إن الإنسان الذي يدرك حقيقة موقفه والأسباب التي تمنعه من التجاوب الكامل مع بشارة الخلاص المجيدة، لا بد أن يسعى جادا لكي يزيل هذه الأسباب ويتقدم نحو التجاوب الكامل مع رسالة الإنجيل.

بدأ المخلص المسيح شرح المثل لتلاميذه قائلا: " فاسمعوا أنتم مثل الزارع. كل من يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم فيأتي الشرير ويخطف ما قد زرع في قلبه. هذا هو المزرع على الطريق." (متى ١٣: ١٨ و ١٩) إن النوع الأول من الناس هم الذين يسمعون لبشارة ملكوت الله أي بشارة الخلاص المجيدة، لكنهم لا يعيروها أي اهتمام ولا يدركون مدى أهميتها على حياتهم ومستقبلهم. لذا سرعان ما يجعلهم الشرير ينسون ما سمعوا، مثلهم مثل الزرع الذي يقع على الطريق فتأتي الطيور وتأكله. فهل أنت صديقي من هذا النوع؟ أرجو ألا تكون ذلك .

وتابع المخلص المسيح شرحه فقال: " والمزرع على الأماكن المحجرة هو الذي يسمع الكلمة وحالا يقبلها بفرح. ولكن ليس له أصل في ذاته بل هو إلى حين. فإذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فحالا يعثر." (متى ١٣: ٢٠ و ٢١) هذا هو النوع الثاني من الناس الذين يتجاوبون حالا وبفرح مع بشارة الخلاص، لكنهم غير مستعدين أن يدفعوا ثمن إيمانهم. فعندما يتعرضون لأي ضيق أو اضطهاد بسبب إيمانهم نراهم يتراجعون. مثلهم مثل الزرع الذي سقط على الأماكن المحجرة فنبت لكنه احترق مع شروق الشمس. فهل أنت مستعد يا صديقي أن تتحمل الاضطهاد من أجل من أحبك ومات من أجلك ووهبك الخلاص المجيد؟

ثم تحدث المخلص المسيح عن النوع الثالث من الزرع فقال: " والمزرع بين الشوك هو الذي يسمع الكلمة. وهم هذا العالم وغرور الغنى يخنقان الكلمة فيصير بلا ثمر." (متى ١٣: ٢٢) لعل هذا النوع هو أخطر الأنواع، لأنه بعد أن تجاوب مع كلمة البشارة، يجعل من هموم الحياة ومشاغلا الكثيرة مع محبة المال تخنق هذه الكلمة. إن هموم ومشاغلا الحياة تبعد الإنسان عن الحياة الروحية المثمرة، وتضع حاجزا بينه وبين الله إلهه .

لقد تحدث الرسول بولس فيما بعد عن هذا الموضوع الهام فكتب يقول: " وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تغرق الناس في العطب والهلاك. لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذ ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم في أوجاع كثيرة." (١ تيموثاوس ٦: ٩ و ١٠) إن هذا أكبر خطر نواجهه في عصرنا اليوم، خطر المجتمع المادي الذي يريد أن يقضي على حياة الإنسان الروحية. وهذا بالذات ما قصده المخلص المسيح عندما تحدث عن النوع الثالث من الزرع المزرع بين الشوك، فطلع الشوك وخنقه. فأرجو صديقي ألا تكون من هؤلاء الناس الذين قبلوا كلمة الله ثم جعلوا من هموم الحياة ومحبة المال أن تخنقها لكي تغدو بلا ثمر.

أما النوع الرابع والأخير من الزرع فقد شرحه المخلص المسيح بالقول: " وأما المزرع على الأرض الجيدة فهو الذي يسمع الكلمة ويفهم وهو الذي يأتي بثمر فيصنع بعض مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين." (متى ١٣: ٢٣) وهذا يشير إلى أولئك الناس الذين يسمعون بشارة الملكوت ويتجاوزون مع خلاص الله المقدم لهم. وليس هذا فحسب بل يتحدثون كل الاضطهادات، ويرفضون كل الإغراءات المادية في سبيل استمرار علاقتهم الروحية مع المسيح مخلصهم.

وهذا النوع كما قال المخلص المسيح لا بد أن يأتي بثمر واضح. أي تظهر على حياته ثمار الروح القدس، والتي تكون كنتيجة طبيعية لقبوله خلاص الله المجيد. وأما ثمر الروح كما كتب الرسول بولس بعدئذ: " فهو محبة فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف." (غلاطية ٥: ٢٢ و ٢٣) إن هذه كلها خصال حميدة يتوق كل إنسان للحصول عليها. لكنها تصبح متوفرة له عندما يقبل خلاص الله ويصبح من أولاده. أفلا ترغب صديقي أن تكون من هذا النوع الأخير المزرع على الأرض الجيدة؟

صديقي المستمع، والآن بعد أن علمت عن ردود فعل الإنسان المتنوعة بالنسبة لتجاوبه مع بشارة الخلاص المفرحة. لما لا تفحص نفسك وتعرف السبب الذي يجعلك لا تتجاوب بالكلية مع هذه البشارة المجيدة. لقد أعد الله لك الخلاص وبشكل كامل، لهذا أتى المسيح ومات على الصليب فداء لذنوبك، ليمنحك الغفران الكامل عنها. ثم قام من بين الأموات ليهبك الحياة الأبدية. فهل تتجاوب وتقبل نعمة الله المجانية لك؟